(٢٠)

التربيّة حب وثقة

جاء في كتب السيرة : أن المشركين في مكة ضربوا يوما أبا بكر ضربا شديدا ، دنا منه عتبة بن ربيعة ، فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه ، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولايشكّون في موته ، فتكلم آخر النهار فقال : ما فعل رسول الله ﷺ فمسوا منه بألسنتهم وعذلوه ، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير : انظري أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه ، فلما خلت به ألحت عليه ، وجعل يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله لا علم لي بصاحبك ، فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، قالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك ذهبت ، قالت : نعم ، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفا، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر ، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم ، قال : فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالت : هذه أمك تسمع ، قال : فلاشيء عليك منها ، قالت : سالم صحيح، فقال : أين هو؟ قالت : في دار الأرقم . قال : فإن لله عليّ ألا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا حتى آتي رسول الله ﷺ ، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِجل وسكن الناس ، خرجتا به يتكئ عليهما، حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ [1] .

لا تربية بغير حب :

هذه لوحة معبّرة تحمل في ثناياها الكثير من الفوائد التربوية التي يحتاجها الداعية في طريق الدعوة .

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ٣٠ .

* فهذه أم جميل تتكتم عن مكان النبي ﷺ حتى تتأكد وتستوثق بنفسها من أبي بكر شخصيا ، فقد كانت مرحلة خاصة تحتاج لمثل هذه التربية وهذا الكتمان .

* ويشارف أبو بكر على الموت ، ومع ذلك فلا يطعم طعاما ولا يذوق شرابا حتى يطمئن أن رسول الله بخير ، بهذا الحب الذي لامثيل له ، الذي نشأ بين النبي وأصحابه ، تحولت التعاليم التي تنطلق من فم القائد،إلى سلوك اصيل يتخلق به الأتباع .

وعلى الدعاة المربين الذين يحبون أن يقتدوا بقائدهم ، أن يؤسسوا الحب مع إخوانهم ويبنوا الثقة فيما بينهم . وهل التربية إلا ثقة وحباً ؟

هكذا فعل المعلم الأول وهو يربي أصحابه ، وهكذا فلتفعل الأجيال المسلمة وهي تقتدي بفعل المعلم الأول ﷺ .

(٢١)

بين أبي قتادة وخالد بن الوليد

من الأحداث التي شغلت المسلمين أيام حروب الردة ، والتي أصبحت فيما بعد مادة خصبة لخيال القصاصين- الذين أحبوا أن ينالوا من صورة عظماء الصحابة أمثال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد (رضي الله عنهما)- قصة سيدنا خالد بن الوليد ﷺ قائد جيش المسلمين مع مالك بن نويرة أحد أبطال الردة .

خلاصة القصة : أن ضرار بن الأزور ﷺ قتل مالكا بأمر من خالد ، بعد أن أصرّ مالك على موقفه فقال : أنا آتي بالصلاة دون الزكاة ، فقال له خالد : أما علمت أن الصلاة والزكاة معا ، لا تُقبل واحدة دون الأخرى ، فقال مالك : قد كان صاحبكم يقول ذلك ، قال خالد : أو ما تراه لك صاحبا ؟

وكان عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري (رضي الله عنهما) حاضرين، فكلما خالداً في أمره . فكره كلامهما ، فقال مالك: يا خالد ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا، فقال خالد : لا أقالني الله إن أقلتك .

وزادت حماسة أبي قتادة لرأيه ، وخالف قائده وفارق الجيش ، ذاهبا إلى الخليفة شاكيا له أمر خالد في شأن مالك ، وأقسم لا يقاتل تحت راية خالد أبدا ، فلم يكن من الخليفة الراشد إلا أن ردّ أبا قتادة إلى جيشه جنديا تحت راية أميره وقائده خالد بن الوليد ﷺ كما كان ، ولم يفتح باب شكاية الجند لقوادهم والخروج عليهم حتى يحقق الأمرَ بنفسه بعد عودة القائد بجيشه .

وهذه سياسة من أحكم وأحزم السياسات التي حرست الدولة الإسلامية في أول عهدها من الانقسام والفساد .

أما عبد الله بن عمر ﷺ فاكتفى بأن أظهر رأيه في القضية ولم يصحب إنكاره بالخروج على الصف ، وهذا من فقه ابن عمر ﷺ [1] .

في هذه القضية عبرة للصف المسلم .

فحرية الرأي : مطلب إنساني وحضاري ، يهم الأفراد كما يهم الشعوب والجماعات ، تكفله الشريعة الغراء ، كما تكفله القوانين وشرائع حقوق الإنسان .والانتماء إلى(الجماعة)، يقتضي قدرا من التنازل عن الآراء الذاتية للفرد، ليبدو منسجما مع رأي الجماعة ملتزما به . فلم ينكر الخليفة الراشد على أبي قتادة أو عبد الله بن عمر (رضوان الله عليهم أجمعين) رأيهما ، ولكنه أنكر على أبي قتادة خروجه على الصف ، وتحريضه على خالد ، وتركه الجيش .

لنفرض أن رأي أبي قتادة كان صحيحا ، وأن القائد هو المخطئ ، وفعل كل جندي في الجيش ما فعله هذا الصحابي الجليل ، فهل يبقى معنى للجندية أو الالتزام ، وهل يتقوى الجيش بمثل هذا التصرف أم ينهار؟!

في غزوة أحد انسلخ عبد الله بن أبيّ عن جيش المسلمين ورجع بثلث الجيش ، وقال عن رسول الله ﷺ : أطاع الأحداث وعصاني ، ورأي عبد الله بن أبيّ يومئذ ، كان يوافق رأي رسول الله ﷺ الذي قصّ رؤياه على أصحابه فقال : « ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة ، وإني أوّلتها المدينة» ، ولكن خروج رسول الله ﷺ والجيش معه كان ثمرة الشورى العامة ، فاستجاب لها القائد ، وأصرّ ابن أبيّ على عصيانه .

ليست القضية الرأي والرأي الآخر ، فحرية ذلك مصانة ، بل ضرورية (في الإطار المناسب) لإنضاج الفكرة وتمكين شجرة الشورى من اتخاذ القرار الأصوب والأسلم ، ولكن القضية هي حرية الرأي ضمن مصلحة الجماعة ، ومصلحة الجماعة قررها في حادثتنا هذه الخليفة أبو بكر ﷺ ، عندما أعاد أبا قتادة جنديا تحت إمرة خالد .

هكذا كان عظماؤنا يفعلون ، وكذلك ينبغي على الذين يحبون أن يقتدوا بآثارهم أن يفعلوا .

---

(١) خالد بن الوليد : صادق عرجون ص ١٦٠ .

(٢٢)

الأسوة الحسنة

دخل عمر بن الخطاب ﷺ على رسول الله ﷺ، فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف، ورفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت في بيته شيئا يرد البصر غير أُهُبة (مفردها إهاب وتعني الجلد) ثلاثة. فقلت: يا رسول الله، ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارسا والروم قد وسّع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله فجلس النبي ﷺ وكان متكئا فقال: أو في هذا أنت يا بن الخطاب؟ إن أولئك قوم عُجّلوا طيباتهم في الحياة الدنيا.

والسؤال: هل كان باستطاعة النبي ﷺ أن يؤثر في أصحابه، فيغذي أرواحهم برغائب الإيمان، ويزكي نفوسهم بتعاليم الحكمة والقرآن، ويربيهم تربية عميقة دقيقة، يحدو بنفوسهم إلى منازل سمو الروح، ونقاء القلب، ونظافة الخلق، والتحرر من سلطان الماديات، ومقاومة سلطان الشهوات، لو لم يكن قدوة لهم في كل ذلك؟

إن القدوة هي أرقى أنواع التربية، فالقدوة واقع حي ملموس يدعو إلى الامتثال بالعمل قبل القول، فلسان الحال أبلغ من لسان المقال. ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1].

لقد كان رسول الله ﷺ أسوةً لأصحابه في كل ما كان يدعوهم إليه، وكذلك ينبغي أن يكون المربون، قدوة عملية لمن يربونهم.

أيظن المربون الذين يعيشون في أبراجهم، يرفلون بأثواب النعيم ويتقلبون في لذائذ الحياة، أنهم يؤثرون بالآخرين عندما يحدثونهم عن المبدأ والتضحية؟

---

(١) الأحزاب.

(٢٣)

الفاروق يقبل رأس عبد الله بن حذافة السهمي

تناهت إلى قيصر عظيم الروم أخبار جند المسلمين ، وما يتحلون به من صدق الإيمان ورسوخ العقيدة واسترخاص النفس في سبيل الله ورسوله ، فأمر رجاله ، إذا ظفروا بأسير من أسرى المسلمين ، أن يبقوا عليه ، وأن يأتوه به حيّا .وشاء الله أن يقع رسول رسول الله ﷺ إلى كسرى **عبد الله بن حذافة السهمي** ﷺ أسيراً ، فحملوه إلى الملك .

ودار بين قيصر الروم ، وبين الأسير المسلم حوار بليغ عظيم .

قال ملك الروم : إني أعرض عليك أن تتنصر، فإن فعلت ، خلّيت سبيلك وأكرمت مثواك .

قال الأسير : هيهات ، إن الموت لأحب إليّ ألف مرة مما تدعوني إليه .

قال ملك الروم : إني لأراك رجلا شهما ، فإن أجبتني أشركتك في سلطاني .

قال الأسير : والله لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت .قال : إذن أقتلك .قال : أنت وما تريد ، ثم أمر به فصلب ، وقال لقناصته (بالرومية) : ارموه قريبا من يديه ، وهو يعرض عليك التنصر فأبى . قال : ارموه قريبا من رجليه ، وهو يعرض عليه مفارقة دينه فأبى .

عند ذلك أمرهم أن ينزلوه ، ثم دعا بقدر عظيمة فصُبّ فيها الزيت ورفعت على النار حتى غلت ثم دعا بأسيرين من أسارى المسلمين ، فأمر بأحدهما أن يلقى فيها فألقي، فإذا لحمه يتفتت . وإذا عظامه تبدو عارية ، ثم التفت إلى عبد الله بن حذافة السهمي ودعاه إلى النصرانية ، فكان أشدّ إباء لها من قبل . فلما يئس منه ، أمر به أن يلقى في القدر فدمعت عيناه ، فظن أنه قد جزع فقال : ردّوه إليّ ، فلما عرض عليه النصرانية فأباها، قال له : وما أبكاك إذن؟

قال : كنت أشتهي أن يكون لي بعدد ما في جسدي من شعر أنفسٌ فتلقى كلها في هـذا القدر في سبيل الله، قال القيصر: هل لك أن تقبل رأسي وأخلّي عنك؟ فقال عبد الله : وعن جميع أسارى المسلمين أيضا ؟ قال : وعن جميع أسارى المسلمين ـ أيضا ـ قلت في نفسي : عدوّ من أعداء الله ، أقبل رأسه فيخلّي عنّي وعن أسارى المسلمين جميعا، لا ضير في ذلك عليّ. ثم دنا منه وقبّل رأسه، فأمر ملك الروم بإطلاق سراح جميع أسارى المسلمين .

قدم عبد الله بن حذافة السهمي ﷺ على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، وقصَّ عليه الحكاية . قال عمر : حقّ على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله ، وأنا أبدأ بذلك ، ثم قام وقبَّل رأسه [1] .

سيقول المتنطعون : كيف يفعل الصحابي ذلك فيقبل رأس ملك كافر ؟ ولا شك أن عبد الله ﷺ قد وعى قول النبي ﷺ : « هلك المتنطعون » ، ففعل ما فيه مصلحة المسلمين .

هكذا ربى محمد ﷺ أصحابه : يتمسكون بعقيدتهم ، ولا يتنازلون عنها طرفة عين مقابل ملك العرب والعجم ، ولكنهم يقدرون المواقف وقد يتنازلون عن أمور جانبية ترضي أعداء الله ، ولا تمسّ العقيدة ، يفعلون ذلك لمصلحة أنفسهم وبقية المسلمين . وهكذا فليفعل المربون .

(١) صور من حياة الصحابة : د. عبد الرحمن الباشا ١/ ٥٦ .

(٢٤)

عمر بن الخطاب ﷺ يطالب أهله

عن ابن عمر ﷺ قال : كان عمر ﷺ إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم إلى أهله فقال : لا أعلمنّ أحدا وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت له العقوبة [1] .

وهذه اللوحة تسجل في صحائف عمر ﷺ ، الخليفة العادل ، الذي لا يحب أن يرى هو أو أحد من أهله حيث نهى الخليفة عباد الله أن يكونوا ، مصداقا للهدي الرباني : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [2] .

نعم إنها من اللوحات الخالدة في سجل سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ . ولكنها في نفس الوقت يمكن أن تعتبر إحدى اللوحات التي تخص المرأة المسلمة ، فعندما تكون إحداهن زوجة لواحد من هؤلاء المسؤولين عن شؤون المسلمين ، ومن ثم تدرك عظم مسؤولياتها في بيتها تجاه زوجها القائد ، وتجاه المجتمع المسلم الذي ينظر إلى القائد كقدوة ، فإذا تصرف القائد أو أهله تصرفا ـ ولو صغيرا ـ في الاتجاه الخاطئ ، فكم من العيون سترمقه ، وكم من الألسن ستلسعه؟! إذا فعلت المرأة ذلك انطبق عليها قولهم : وراء كل عظيم امرأة .

في عالم السياسة الميكيافيلية ، يحكم على السياسي الناجح من خلال مواقفه العامة ، بينما قد يكون من أفسد الناس في علاقاته الخاصة .

والشائع في عالم السياسة أنه لا علاقة بين الحالتين . أما زوجة السياسي الذي من هذا الصنف فقد جاءتها الفرصة لتسخّر الدولة وإمكاناتها لمصلحتها ، فتصبح السيدة الأولى

---

(١) كنز العمال (٢/ ١٤١).
(٢) الصف .

التي تتابعها عدسات المصورين في كل تحركاتها ، وهذا من الخلل الذي لا يقره الإسلام ، بل ويعتبره من أسس البلاء ، فالوسائل والغايات ينبغي أن تكون على نفس القدر من الاعتبار والنظافة ، والإناء القذر لا ينضح إلا فسادا ، والإناء النظيف لا ينضح إلا عدلا.

ومن هنا كانت مسؤولية المرأة المسلمة العاملة في ميدان الدعوة ، أن تقف مع زوجها ، تعينه في عمله ، وتلتزم بالأمور العامة بمنتهى الحزم والعزم ، فلا يرى الناس فيها ثغرة مهما صغرت ينالون فيها من الحاكم أو القائد ، وهكذا فالمرأة بقدر مسؤوليتها ومسؤولية زوجها تتسع الثغرة التي تقف حارسة عليها .

هذه هي تعاليم الإسلام عبّر عنها سيدنا عمر ﷺ الذي نهل من معين التربية النبوية ، وهكذا ينبغي على المربين أن يفعلوا.

obeikandl.com

(٢٥)

بؤساً لعمر! كم قتل من أطفال المسلمين

أخرج ابن سعد وأبو عبيدة وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما : هل لك أن نحرسهم الليلة من السرق؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما ، فسمع عمر ﷺ بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه : اتقي الله وأحسني إلى صبيك! ثم عاد إلى مكانه . فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه .

فلما كان في آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال : ويحك! إني لأراك أم سوء ، ما لي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة! قالت : يا عبد الله قد أبرمتني هذه الليلة إني أربعه على الفطام فيأبى ، قال : ولمَ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم ، قال : وكم له؟ قالت : كذا وكذا شهرا، قال: ويحك! لا تعجليه! فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلَّم قال : يا بؤسا لعمر! كم قتل من الأولاد المسلمين! ثم أمر مناديا فنادى : ألا! لا تُعجلوا صبيانكم عن الفطام! فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام [1] .

أبطال لوحتنا اثنان ، امرأة تحاول فطام ابنها حتى ينال عطاءه فالخليفة لا يفرض إلا للفطيم .

والخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الذي أهمه بكاء طفل من المسلمين ، وبعدما علم أن قانونه السابق الذي لم يفرض بموجبه عطاء إلا للطفل الفطيم هو سبب تعاسة هذا الطفل وأمثاله . بكى وندم وعاد عن خطئه ففرض لكل مولود .

---

(١)كنز العمال (٢/ ٣١٧).

واللوحة – توضح دور القيادة الراشدة – التي تسهر على مصالح الخلق ، وتوضح كذلك دور المرأة الفاعل الإيجابي ، الذي ناقش الخليفة في أمر الطفل فكان سببا في تعديل القانون .

بهذه الروح تستطيع الأخت الداعية المسلمة أن تشارك في قضية الأمة : تطالب بالحقوق، وتتبني القضايا ، وتحسن الدفاع عنها، وخيركم خيركم لأهله وأمته .

obeikandl.com

(٢٦)

سعيد بن عامر ينصح أمير المؤمنين

تولّى عمر بن الخطاب ﷺ خلافة المسلمين ، فبايعه المهاجرون والأنصار ، وخاف من شدته البعض ، واستبشر بقوته الأكثرون ، وجاءه سعيد بن عامر الجمحي ﷺ يؤدي واجب النصح له ، فالنصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم فقال : يا عمر أوصيك أن تخشى الله في الناس ، ولا تخشى الناس في الله ، وألا يخالف قولُك فعلَك؛ فإن خير القول ما صدّقه العمل .

يا عمر : أقم وجهك لمن ولاك الله أمره من بعيد المسلمين وقريبهم ، وأحبّ لهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك ، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك ، وخضِ الغمرات إلى الحق ولا تخف في الله لومة لائم .

فقال عمر : ومن يستطيع ذلك يا سعيد؟! فقال : يستطيعه رجل مثلك ممن ولاهم الله أمر أمة محمد ﷺ ، وليس بينه وبين الله أحد .

هذا هو دور البطانة الصالحة .

* توقظ ميزان التقوى في نفس الحاكم .

* وتذكّر المسؤول بمسؤولياته .

* وتحذره من أن يخالف قولُه فعلَه : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[1] .

* أو أن يفرق بين المسلمين في المعاملة .

---

(١) الصف .

* أو أن يضعف أو يتهاون في مهمته .

هكذا كان سعيد بن عامر ﷺ وهو ينصح الخليفة .

وهكذا كان القائد العظيم عمر بن الخطاب ﷺ وهو يصغي للنصيحة ، ويقول : لا خير فيكم إن لم تقولوها ، ولا خير فينا إن لم نقبلها .

obeikandl.com

(٢٧)

سعيد بن عامر والي حمص

اشتكى أهل حمص واليهم سعيد بن عامر ﷺ إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، وذكروا أربعة من أفعاله التي أنكروها عليه .

قال عمر : فجمعت بينه وبينهم ، ودعوت الله ألا يخيب ظني فيه ، فقد كنت عظيم الثقة به .

قلت : ما تشكون من أميركم؟قالوا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قلت : ما تقول في ذلك يا سعيد؟ .

فسكت قليلا ثم قال : والله إني كنت أكره أن أقول ذلك ، أما وإنه لا بد منه ، فإنه ليس لأهلي خادم ، فأقوم في كل صباح فأعجن لهم عجينهم، ثم أتريث قليلا حتى يختمر، ثم أخبزه لهم ، ثم أتوضأ وأخرج للناس .

قال عمر : وما تشكون منه أيضا ؟

قالوا : إنه لا يجيب أحدا بليل .

قلت : وما تقول في ذلك يا سعيد؟

قال : إني والله كنت أكره أن أعلن هذا أيضا ، فأنا قد جعلت النهار لهم ، والليل لله عز وجل .

قال عمر : وما تشكون منه أيضا ؟

قالوا : إنه لا يخرج إلينا يوما في الشهر.

قلت : وما هذا يا سعيد ؟

قال : ليس لي خادم يا أمير المؤمنين ، وليس عندي ثياب غير التي عليّ ، فأنا أغسلها في الشهر مرة وأنتظرها حتى تجف ، ثم أخرج إليهم في آخر النهار .

قال عمر : وما تشكون منه أيضا؟

قالوا : تصيبه من حين إلى آخر غشية فيغيب عمن في مجلسه .

فقلت : وما هذا يا سعيد ؟

فقال : شهدت مصرع خبيب بن عدي وأنا مشرك ، ورأيت قريشا تقطع جسده وهي تقول له : أتحب أن يكون محمد مكانك ؟

فيقول : والله ما أحب أن أكون آمنا في أهلي وولدي ، وأن محمدا ﷺ تشوكه شوكة ، وإني والله ما ذكرت ذلك اليوم وكيف أني تركت نصرته إلا ظننت أن الله لا يغفر لي ، وأصابتني تلك الغشية .عند ذلك قال عمر : الحمد لله الذي لم يخب ظني به .

وهكذا الناس ضد من تولى الأمور ، حتى ولو كانوا من نوعية سعيد بن عامر ﷺ .

(٢٨)

فاطمة بنت الخطاب

أخرج ابن سعد ، عن أنس ﷺ قال : خرج عمر ﷺ متقلدا السيف فلقيه رجل من بني زهرة قال : أين تعمد يا عمر؟

فقال : أريد أن أقتل محمدا . قال : أفلا أدلك على ما هو أعجب من ذلك؟ قال : وما هو؟ قال : أختك وختنك قد صَبَوا وتركا دينك الذي أنت عليه .

قال : فمشى عمر ذامرا (متهددا) حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له : خبّاب. قال : فلما سمع خبّاب حسّ عمر توارى في البيت ، فدخل عليهما فقال : ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟ فلعلكما قد صبوتما .

فقال له ختنه : أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه فوطأه وطأ شديدا ، فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده نفحة فدمّى وجهها .

فقالت - وهي غضبى : يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدا رسول الله .

قال عمر : أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه .

فقالت أخته : إنك رجل رجس ولا يمسه إلا المطهرون ، فقم فاغتسل أو توضأ [1] .

وهذه لوحة أخرى يذكرها المؤرخون وكتّاب السير عندما يتكلمون عن إسلام عمر، الرجل القوي الذي اعتز الدين بإسلامه ، والذي كان لا يسلك شعبا إلا وسلك الشيطان شعبا آخر ، لوحة تضم فاطمة بنت الخطاب ، المرأة التي دافعت عن زوجها المؤمن (سعيد

---

(١) حياة الصحابة ١/ ٤٣٧ .

ابن زيد) ، وتقول لأخيها بكل قوة : يـا عمـر ، إن كـان الحـق في غـير دينـك ، وتتحمـل الضرب والإهانة ولا تتنازل عن دينها ، وعندما أراد أخوها تناول الصحيفة أبت وقالت : بل أنت رجل رجس .

وأدرك عمر أن المعنى الذي أحال فاطمة بنت الخطاب إلى ما صارت إليه ، مـن القـوة والبأس بحيث تردعه وتأبى عليه ، بل وتأمره بأن يتطهر إن أراد قراءة الـصحيفة ، لمعنـى عظيم . فرأى في نفسه الجبارة في الجاهلية ، تستسلم لقوة أخته المسلمة وليس بـدعا هـذا، فالحق غلاَّب ، والإسلام أغلب .

وإذا كان رسول الله ﷺ قد دعا أن ينصرَ اللهُ الإسلام **بأحب العمرين إليه ، فـإن مفتـاح إسلام عمر كان أخته فاطمة** بنت الخطاب والفضل لمن سبق .

(٢٩)

ليعلم أني لم أخنه في الغيب

أخرج عبد الرَّزاق عن ابن جريج قال : أخبرني من أصدّق أن عمر ﷺ بينما هو يطوف سمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل تسري كواكبه ... وأرقني أن لا حبيب ألاعبه

فوالله لولا الله تخشى عواقبه ... لزحزح من هذا السرير جوانبه

ولكني أخشى – رقيبا موكلا ... بأنفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

مخافة ربي والحياء يصدني ... وأكرم بعلي أن تنال مراتبه

فقال عمر ﷺ : مالك؟ قالت : أغربت زوجي منذ أشهر، وقد اشتقت إليه . قال : أردت سوءا ؟ قالت : معاذ الله . قال : فاملكي عليك نفسك ، فإنما هو البريد إليه . فبعث إليه ، ثم دخل على حفصة رضي الله عنها، فقال : إني سائلك عن أمر قد أهمّني فافرجيه عني ، في كم تشتاق المرأة إلى زوجها ؟

فخفضت رأسها واستحيت . قال : فإن الله لا يستحيى من الحق ، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر وإلا فأربعة أشهر . فكتب عمر ﷺ ألا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر .

وهذه لوحة أخرى، لامرأة مسلمة تخشى الله وتراقبه ، طال عهدها بزوجها ، وقد خرج مجاهدا في سبيل الله ،مع الجيوش التي انطلقت تحرر إرادة الإنسان من جور الطغيان. تتقلب في فراشها ، وتتذكر زوجها . ولكن أين هو منها وقد اشتاقت إليه ، وامتلأت نفسها رغبة فيه ، أين الرجل الذي يملأ عليها فراغها ، ويسدّ جوعتها ، وتتقلب سعيدة في نعمائه .

ويسمع عمر ﷺ صوتها، ويحس لوعتها ورغبتها ، فيسألها : أردت سوءا؟ وتجيب : معاذ الله ، إنها أبدا الراعية لنفسها ، الأمينة على شرفها وشرف زوجها ، الحافظة بالغيب على عهدها وعهد وليها.﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1] .

هذه هي المرأة المسلمة الصابرة القانتة الحافظة للغيب التي أوحت لعمر بن الخطاب بتشريع إجازات الجنود ، فقد كتب عمر بعد هذه الحادثة إلى قواد جيوشه بألا يحبسوا الجيوش فوق أربعة أشهر .

في هذه اللوحة المعبرة نجد :

* القائد الذي يهتم بأمور الرعية الخاصة كما يهتم بأمور الدولة العامة .
* والرعية التي أدبها الإسلام فالتزمت بأخلاقه وقيمه .
* وسؤال الخليفة أم المؤمنين حفصة ، فلا يضير الخليفة أن يسأل عن أمر لم يعرفه!

---

(١) يوسف .

obeikandl.com

(٣٠)

ستر المسلم

أخرج هنّاد والحارث ، عن الشّعبي ، أن رجلا أتى عمر بن الخطاب ﷺ فقال : إن لي ابنة كنت وأدتها في الجاهلية فاستخرجناها قبل أن تموت، فأدركت معنا الإسلام فأسلمت، فلما أسلمت أصابها حد من حدود الله ـ تعالى ، فأخذت الشفرة لتذبح نفسها ، فأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها فداويناها حتى برئت ، ثم أقبلت بعد بتوبة حسنة وهي تُخطب إلى القوم ، أفأخبرهم من شأنها بالذي كان ؟ فقال عمر : أتعمدُ إلى ما ستر الله فتبديه؟ والله لإن أخبرت بشأنها أحدا من الناس لأجعلنك نكالا لأهل الأمصار، بل أنكحها نكاح العفيفة المسلمة [١] .

إن الله ستير يحب الستر :

والله ـ سبحانه وتعالى ـ يريد للمجتمع أن يبقى طاهرا نظيفا ، وأولئك الذين يعتدون على حرمة المجتمع قال الله فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [٢] .

وليس مهما أن يخطئ الإنسان ، فكل ابن آدم خطاء ، ولكن المهم ألا تشيع الخطيئة في المجتمع المسلم . ومن هنا فقد شدد الإسلام في جريمة الزنا واشترط لثبوتها أربعة شهود عدول رأوا عملية الزنا جهارا نهارا بوضوح كامل وهذا مما لا يمكن تحققه في واقع الأمر، لماذا ؟ قالوا : حتى لا تشيع الفاحشة في المجتمع .

واللوحة التي أمامنا اليوم هي لفتاة أخطأت فتابت وحسنت سيرتها ، وعمر بن الخطاب أمير المؤمنين ﷺ يهدد ذويها إن هم كشفوا سترها أو أذاعوا سرّها أو أخبروا أحدا بخبرها ليجعلنهم نكالا لأهل الأمصار !

---

(١) كنز العمال (٢/ ١٥٠).

(٢) النور .

والفتاة المسلمة التي حسنت توبتها ، وسترها مجتمعها وهو يستشعر مسؤوليته تجاهها ، كم ستكون عنصر عطاء وتضحية في سبيل مجتمع حرص عليها وأنقذها !

ألا فليتعلم المربون ، أن التربية الإسلامية ليست مجرد نهي وأمر ، أو عقوبة وزجر ، إنما هي كذلك عطف ومحبة وحياة فاضلة وستر ، والتربية الإسلامية تهتم بهداية الناس واستقامتهم أكثر مما تهتم بزجر الناس وعقابهم .

قد لا ينتبه الدعاة والداعيات إلى الله ، إلى مسؤولياتهم عن المجتمع ، فتراهم يتندرون بأخبار الناس ، بقصة فلان أو فلانة ، وهم ساهون عن الجريمة التي ارتكبوها ، فقد فضحوا الأستار ، وحدثوا بكل ما سمعوا ، اغتابوا وبهتوا ، وأشاعوا الفاحشة في المجتمع المسلم .

سيدنا عمر الذي نشأ في محضن النبوة يعلمنا من خلال هذه القصة : أن الدعوة تعني الستر ، وأن الداعية الموفق هو الذي يعمل على ذلك .

هذا هو الأسلوب التربوي القويم ، وكذلك فليفعل الدعاة في مثل هذه المواقف .

(٣١)

بين بلال وخالد بن الوليد

(الموقف في مسجد مدينة حمص ، وفيه كلٌّ من أبي عبيدة عامر بن الجراح ، وبلال بن رباح ، ومعاذ بن جبل).

أبو عبيدة : اذهب الآن يا معاذ إلى خالد بن الوليد وأحضره معك .

معاذ : سمعا يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : تلطف به جهدك يا بن جبل .

معاذ : سأفعل .

أبو عبيدة : مالي أراك واجفا يا بلال؟ ما خطبك؟

بلال : وكيف لي لا أجف يا أبا عبيدة وقد رأيتك أنت تجف .

أبو عبيدة : اللهم ثبت قلوبنا على الحق، واعصمنا من الزلل .

بلال : أتذكر يا أبا عبيدة إذ كان أمية بن خلف يطرحني على ظهري في بطحاء مكة إذا حميت الظهيرة ، ويضع الصخرة العظيمة على صدري ، ويقول لي : لأتركنك هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد؟

أبو عبيدة : نعم أذكر.

بلال : والله إن هذا الذي أنا مقدم عليه اليوم لأشق عليّ من ذاك ، كيف أعمد أنا بلال ابن حمامة (نسبة إلى حمامة أم بلال) إلى خالد بن الوليد بطل الإسلام ، وفارس المسلمين ، وسيف الله المسلول فأنزل عمامته على رؤوس الأشهاد .

أبو عبيدة : هذا أمر أمير المؤمنين .

obeikandl.com

بلال : أفلا تقوم به أنت يا أبا عبيدة وتكفينيه جزاك الله خيرا؟

أبو عبيدة : ويحك يا بلال ، أو قد نسيت أن النبي ﷺ آخى بيني وبينك؟

بلال : كلا ما نسيت ذلك، ولكن خالدا سيكون أهون عليه أن تقوم بذلك من أن أقوم أنا به .(كل ما يهمه ألا يجرح مشاعر خالد بن الوليد سيف الله المسلول) .

أبو عبيدة : لا حق له إن فعل ، أنت سيدنا وعتيق سيدنا، ومؤذن رسولنا ﷺ.(خاف على مشاعر أخيه بلال) .

بلال : سيظن ابن الوليد ما لا نحب أن يظنه .

أبو عبيدة : فليظن ابن الوليد ما يشاء ، فلقد قصد أمير المؤمنين هذا المعنى إذ اختارك لهذه المهمة ، فكيف ويحك تريد أن تسندها إليّ؟ إذن والله ليغضبن أمير المؤمنين عليك .

بلال : صدقت ، لقد أمرني هو أن أتولى ذلك بنفسي ، قال لي: يا بلال انزع عمامته، وقيد بها يديه من خلفه على ملأ من الناس ، وبحضور أبي عبيدة . (ثم يدخل الناس أفواجا في المسجد ، ثم يدخل معاذ بن جبل ومعه خالد بن الوليد في نفر من أصحابه فيهم رومانوس (قائد روماني أسلم وحسن إسلامه وشارك المسلمين في كثير من حروبهم ، تزوج خولة بنت الأزور) ورافع بن عميرة ، ومذعور بن عدي . حتى جلسوا في الصف الأول أمام أبي عبيدة . وما هي إلا لحظات حتى وقف رجل مسلم بين الجالسين وصرخ بأعلى صوته موجها الكلام إلى أبي عبيدة قائلا :

الرجل : يا أبا عبيدة ، هل تأذن لمسلم أقمت عليه حد الخمر أمس؟

أبو عبيدة : يغفر الله لك يا أبا جندل، ما عندك؟

أبو جندل : ماذا فعل الله بصاحبنا ضرار بن الأزور؟

أبو عبيدة : إنه لم يحضر إلينا من قيسارية .

أبو جندل : أفي الحق يا صاحب رسول الله أن تحضرني أنا وأصحابي بالشرطة أول أمس ، وتنتظر ضرار بن الأزور حتى يجيئك من تلقاء نفسه متى يشاء؟

أبو عبيدة : لقد بعثنا إلى عمرو بن العاص ليرسله إلينا في الحال .

أبو جندل : قيل لنا : إنك أردت أن تؤثره علينا فتركته في قيسارية وأقمت علينا الحد من دونه .

أبو عبيدة : معاذ الله ، وماذا يحملني على ذلك؟

أبو جندل : قيل لنا : إنك راعيت مكانه من خالد بن الوليد فقبلت شفاعته فيه.

أبو عبيدة : ومن قال لك ذلك؟

أبو جندل : كلا لا أخبرك به .

أبو عبيدة : يقول الله ـ تبارك وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [1] . والله ما كلمني خالد في أمر ضرار بن الأزور ، ولو فعله ما شفعته فيه ؛ فإنه لا شفاعة في الحدود .

أبو جندل : كان ينبغي عليك إذن أبا عبيدة أن تكون قد أرسلت في طلبه فأحضروه إليك قبل أن تحضرنا وتسائلنا أمام الناس ، وتقيم علينا الحد فعسى أن يبلغه ما كان فيهرب من الحد ، فلا تستطيع أن تقيمه عليه.

أبو عبيدة : وأنى له المهرب يا أبا جندل؟

أبو جندل : لقد سمعناه يقول : والله لا أرضى أبدا أن أجلد كما يجلد العبد .

أبو عبيدة : وما شأننا بما يقول؟ والله لنقيمنه كما أقمناكم ، ولنسألنه عن الخمر كما سألناكم ؛ فإن قال : إنها حلال قتلناه ، وإن قال : إنها حرام جلدناه كما يجلد العبد ولا كرامة .

خالد : (ينهض) يا أبا عبيدة ، ما كان الله ليخزي ضرار بن الأزور .

أبو جندل : أرأيت يا أبا عبيدة ؟ أرأيتم أيها المسلمون؟

---

(١) الحجرات .

أبو عبيدة : ما خطبك يا أبا سليمان؟ إنها حدود الله يطهر بها قوما ويخزي بها آخرين .

أبا جندل : لقد صح إذن ما قيل .

خالد : يا أبا جندل ، ويا أبا عبيدة، ويا أيها المسلمون جميعا ترحموا على أخيكم ضرار ابن الأزور.

الجميع : أو قد مات ضرار؟

خالد : استشهد على أسوار قيسارية ، فأعظم الله أجركم فيه ، لقد كان والله مجاهدا مغوارا لم ينب له سيف ولم تنثن له قناة ولم يطش له سهم . ما كان الله ليخزي ضرار بن الأزور أبدا . (تغلبه العبرة فيقف واجما مندهشا) .

رومانوس: (ينهض إلى أبى عبيدة ويناوله كتاباً) ويقول له : هذا كتاب عمرو بن العاص يا أبا عبيدة (ثم يعود إلى مكانه) .

خالد : (يرفع يديه إلى السماء ويدعو) : اللهم إن ضرارا كان يخرج في الليلة الباردة القريرة عريان إلا مما يستر عورته فيجاهد في سبيلك ، ويقتحم الجيش اللَّهام (العظيم) للعدو ، ولا يهاب الرماح ولا السهام ولا السيوف ، اللهم فاغفر له ما أذنب في حقك وما أذنب في كبير ، اللهم إن كان يسخطك عليه أنه شرب في الشام بعض الخمر فاغفر له. اللهم وأرزأه من نصيبه من خمر الجنة، فإنك قلت في كتابك : ﴿ وَأَنْهَرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴾[1] . (يجلس فيضج الناس بالبكاء).

أبو عبيدة : (يرى بعض الناس يقومون لينصرفوا فيقول لهم): انتظروا أيها الناس لا تقوموا حتى تسمعوا ما أمر به أمير المؤمنين في خالد بن الوليد ، قم يا بلال (ينظر الناس بعضهم إلى بعض في دهشة فيتقدم بلال نحو خالد ويقول له بلال) :

يا خالد بن الوليد ... إن أمير المؤمنين أمرني أن أسألك أمام الناس ، أمن مالك أجزت الأشعث بن قيس بعشرة آلاف أم من إصابة أصبتها؟ يدهش خالد فينظر إلى أبي عبيدة ، وينظر إليه أبو عبيدة في حنان .

---

(١) محمد : ١٥ .

بلال : أمن مالك أجزت الأشعث بن قيس بعشرة آلاف درهم أم من إصابة أصبتها ؟

خالد : (لا يجيب) .

بلال : إن أمير المؤمنين أمر أن تعقل بعمامتك ، وأن تنزع قلنسوتك حتى تجيب عما تسأل الآن عنه .(يحل عمامة خالد ويعقل بها يديه من وراء ظهره ثم ينزع قلنسوته).ما تقول يا خالد؟ من مالك أم من إصابة أصبتها؟ تصدر عن جموع المسلمين همهمة ، فيقف أبو جندل وسط المسجد ويقول أبو جندل :

كلا يا قوم لقد بلغ السيل الزبى ، ما هكذا يعامل الأبطال؟

خالد : اسكت يا أبا جندل ، لا تكن داعي خلاف وفتنة .

أبو جندل : يا سيف الله ، إنما أردت أن أذب عنك .

خالد : لا أريد أن يذب عني أحد .

أبو جندل : (بصوت متهدج) بأبي أنت وأمي يا أبا سليمان سامحني فيما بدر مني في حقك ، سامحني يا أبا سليمان .

خالد : سامحتك يا بن سهيل بن عمرو .

بلال : أجبني يا خالد ، من مالك أجزت الأشعث بن قيس أم من إصابة أصبتها؟

خالد : بل من مالي .

أبو عبيدة : (يتنفس الصعداء) الحمد لله .

بلال : (يطلقه ويعيد قلنسوته ويعممه بيده) نسمع ونطيع لولاتنا (يقبل رأس خالد) ونفخم ونخدم موالينا .

خالد : (كالمنكر لتقبيل رأسه وكالمستغرب) مه يا ابن حمامة ، يا ليت لي مثل فضلك وسابقتك . إذن .

بلال : إذن ماذا يا سيف الله؟

خالد : هيهات يا ابن حمامة ، حال الجريض دون القريض (أي غصة الموت منعت من نظم الشعر) .

معاذ : صدقت يا أبا سليمان وقول الله ـ جل جلاله ـ هو الأصدق : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[1] .

أبـو عبيدة : أيها الناس ، انصرفوا يرحمكم الله، فقد قضينا ما أمر به أمير المؤمنين .

عندما ننظر في هذا الموقف الصعب بين بطل جنّد نفسه وكل ما يملك للجهاد في سبيل الله ، وبين أصحابه الذين يقدرونه ويحترمونه ، وطلب مساءلته بأمر أمـير المـؤمنين ، كـل ذلك الإحراج لم يثن المسؤول عن تنفيذ أمر القائـد الأعـلى مـع كل ما يحس به من مشاعر، فتقوى الله فوق أي إحراج ، وكذلك المنفذ لهذه المساءلة (بلال) كان مجهـدا جهـدا نفـسيا هائلا تجاه أخيه خالد ، ومع ذلك نفّذ ما أمر به ، أما خالد البطل لم يغضب لذاتـه وامتثـل للأوامر ، ولم يتجاوب مع من دافع عنه لأنه يعلم بأن الله يراه وأن الفتنـة فرقـة وضـعف وهو لا يريدها حتى لا تثنيه عن تحقيق هدفه المنشود .

هكذا كان الجند الأول الذين حملوا الإسلام ، عقيدة في قلوبهم، وسلوكا في جوارحهم، وإخلاصا لله في جهادهم ، وطاعة لأولي الأمر في تنفيذ أوامرهم ، وعـلى الجيـل الجديـد أن يقتدي بهؤلاء العظماء .

---

(١) النازعات .

(٣٢)

أنا عربية وهي مولاة

عن عيسى بن عبد الله الهاشمي ، عن أبيه ، عن جده قال : أتت عليا ﷺ امرأتان تسألانه ، عربية ومولاة لها . فأمر لكل واحدة منهما بكرّ (مكيال) من طعام ، وأربعين درهما ، فأخذت المولاة الذي أعطيت وذهبت . وقالت العربية : يا أمير المؤمنين تعطيني مثل الذي أعطيت هذه ، وأنا عربية وهي مولاة ؟

قال لها علي ﷺ : (إني نظرت في كتاب الله ـ عزّ وجل ـ فلم أر فيه فضلا لولد إسماعيل على ولد اسحاق عليهما الصلاة والسلام) .

وكيف يفرق علي ﷺ في العطاء بين عربية ومولاة ؟! وقد جاء الإسلام أساسا لردم هذه الهوة المهينة لإنسانية الإنسان ، فاختلاف الألسن والأجناس والألوان إنما هي آيات من آيات الله ، ليست مدعاة للتفاضل والتفاخر والتعصب المذموم ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1] .

وإذا كانت هذه العربية لم تفهم مقاصد الإسلام بعد ، وما زالت تدعو بدعوى الجاهلية ، وما زالت تحسب أن عربيتها ستجعلها أقرب للإسلام وأقرب لنبي الإسلام من غيرها من المسلمات ، فليفهمها الخليفة علي ﷺ حقيقة الموقف .

ولقد فعل سيدنا علي ﷺ بأسلوب رائع فأخبرها - وهو الخبير- بأنه نظر في كتاب الله فلم يجد أن الناس يتفاضلون على أساس الجنس أو اللون ، ولم ير فضلا لولد إسماعيل (العرب) على ولد إسحاق (الأعاجم) ، والناس كلهم لآدم وآدم من تراب .

---

(١) الحجرات : ١٣ .

وهذا درس لكل الدعاة الذين قرروا المضي في ركب الدعوة ألا يعيروا انتباها للشيطان ولا لحفظة تعاليمه ، وليضعوا نصب أعينهم تعاليم نبي الرحمة الذي يقول : « المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه » .

وإذا كانت المجتمعات في قديم الناس وحديثهم تتفاضل بالأموال فيقدمون الأغنى ، ويتفاضلون بالقبيلة فهذه أعرق وأقوى ، ويتفاضلون بالقوة ، والجاه ، والعنصر ، فإن للإسلام اعتبارات أخرى .

يرى الإسلام أن عصبية العشيرة والقبيلة والقوم والجنس واللون والأرض عصبيات صغيرة متخلفة ، عصبية جاهلية عرفتها البشرية في فترات انحطاطها الروحي ، وسماها رسول الله ﷺ (منتنة) بهذا الوصف الذي يفوح منه التقزز والاشمئزاز : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] .

بعض الدعاة إلى الله لا يميزون، فتراهم يدورون مع عصبيتهم حيث دارت، يتصورون أنهم بذلك يخدمون الدعوة ، ولو صدقوا مع أنفسهم لقالوا : إنما يخدمون أنفسهم وقومهم ، ألا فليعلم المربّون أن الحق في الاستقامة ، والقوة مع المبدأ القويم ، وليس بعد الحق إلا الضلال .

قلب (إن شئت) صفحات التاريخ الإسلامي ، وستجد أن هذه العصبية المنتنة ، هي التي وأدت عظمتنا ، وأساءت إلى قيمنا ، وأركستنا مرة أخرى في حمأة الجاهلية .

سيدنا علي ﷺ يعطينا (من خلال هذه القصة) درسا ميدانيا في التربية ، والمطلوب من الدعاة أن يستوعبوه .

---

(١) التوبة .

(٣٣)

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية

أثناء الحرب التي دارت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، خرج فريق من جند علي كفَّر عليا وكفَّر معاوية وجاؤوا بأمور لم تكن معروفة من قبل ، وذهب ابن عباس ﷺ إليهم ليوضح الحق ، ويكشف الشبهة .

قال ابن عباس ﷺ : دخلت عليهم وهم قائلون ،فإذا هم مسهدة وجوههم من السهر ، قد أثر السجود في جباههم ، كأن أيديهم ثفن الإبل ، فقالوا : ما جاء بك يا بن عباس؟ وما هذه الحلة التي عليك؟

قلت : ما تعيبون من ذلك؟ فلقد رأيت رسول الله ﷺ وعليه أحسن ما يكون من الثياب اليمنية ، ثم قرأت ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [١] . فقالوا : ما جاء بك؟ قال : جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله، جئت لأُبلغكم عنهم، وأبلغهم عنكم. فقال : بعضهم : لا تخاصموا قريشا؛ فإن الله يقول : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [٢] . فقال بعضهم : بلى فلنكلّمه ، قال : فكلمني منهم رجلان أو ثلاثة. قلت : ماذا نقمتم عليه؟ قالوا: ثلاثا:

الأولى : أنه حكّم الرجال في أمر الله، وقال تعالى : ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [٣] .

والثانية : فإنه قاتل ، فلم يسب ، ولم يغنم ، فلئن كانوا مؤمنين ما حلّ قتالهم ، ولئن كانوا كافرين ، لقد حلّ قتالهم وسبيهم .

---

(١) الأعراف : ٣٢ .
(٢) الزخرف.
(٣) الأنعام : ٥٧ .

والثالثة : محا نفسه من إمرة المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين ، فهو أمير الكافرين.

قلت : أرأيتم إن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله بما ينقض قولكم هذا ، أترجعون؟ قالوا : وما لنا لا نرجع!!

قلت : أما قولكم : (حكّم الرجال في أمر الله) إن الله قال في كتابه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [1] . وقال في المرأة وزوجها : ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ [2] . فصيّر الله ذلك إلى حكم الرجال ، فناشدتكم الله! أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين ، وفي إصلاح ذات بينهم أفضل ، أو في دم أرنب ثمنه ربع درهم؟ وفي بضع امرأة قالوا : بل هذا أفضل . قال: أخرجتم من هذه ؟ قالوا : نعم .

قال : وأمّا قولكم : (قاتل ولم يسب، ولم يغنم) أتسبون أمكم عائشة؟ فإن قلتم : نسبيها، فنستحلّ ما نستحلّ من غيرها، فقد كفرتم ، وإن قلتم : ليست بأمنا فقد كفرتم ، فأنتم ترددون بين ضلالتين ، أخرجتم من هذه ؟قالوا : بلى .

قال : وأمّا قولكم : (محا نفسه من إمرة المسلمين) فأنا آتيكم بمن ترضون ، إنّ نبي الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو، قال رسول الله ﷺ :« اكتب يا علي : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » ، فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو : ما نعلم أنك رسول الله ، ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك . قال رسول الله ﷺ : « اللهم إنك تعلم أني رسولك ، يا علي اكتب : هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وأبو سفيان وسهيل بن عمرو» .

لقد كان ابن عباس بحرا زخّارا ، كشف الشبهة ودحضها ، وأتى بالأدلة البينة من الكتاب والسنة ، ولقد أثمرت جهوده فرجع منهم عن باطلهم ألفان [3] .

---

(١) المائدة : ٩٥ .

(٢) النساء : ٣٥ .

(٣) جولة فى رياض العلماء : د . عمر الأشقر .

أسلوب الحوار :

في هذا النص الذي أمامنا درسٌ عظيم استخدم فيه ابن عباس ﷺ الحوار الهادئ المقترن بالدليل :

١- لقد كان ابن عباس معلما عندما قال لهم : لقد جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ وليس فيكم منهم أحد ، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن ، وهم أعلم بتأويله . وهذا أمرٌ ضروري لإنجاح الحوار بأن يشعر المقابل بأنك أعلم منه ، وهذه هي طبيعة المتعلم ألا يأخذ إلا من معلم أعلى منه درجة .

٢- وامتلك ابن عباس مهارة حسن الاستماع ، فامتص غضبهم بإعطائهم الفرصة الكافية لشرح وجهة نظرهم ، وهو حين يستمع إليهم يعطي لنفسه الفرصة لاستيعاب ما يقولون ويحضّر إجابته المناسبة .

٣- وجاء بالدليل العلمي الذي يفهمه هؤلاء من الكتاب والسنة . فأثبت لهم (بالحلم والصبر) عكس ما يقولون ، فنقلهم من الكفر إلى الإيمان .

وهكذا فإننا مهما اختلفنا مع الآخرين ، ومهما كانت البيئات النفسية التي تحيط بالمختلفين متباينة ، فإن هناك دائما مجالا ممكنا للانتقال بمعلوماتنا إلى العقل الآخر والتأثير عليه من النقيض إلى النقيض .

(٣٤)

أبعث معكم القوي الأمين

حدّث محمد بن جعفر ، قال : قدم وفد من النصارى على رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء من أموالنا اختلفنا فيها، فإنكم عندنا ـ معشر المسلمين ـ مرضيون.

فقال رسول الله ﷺ : « ائتوني العشيّة أبعث معكم القوي الأمين » . فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر ، جعل ينظر عن يمينه وعن يساره، حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه فقال : « اخرج معهم فاقض بينهم بالحق» .

اكتشاف الطاقات :

إن النظر في مثل هذه الحوادث يعرّفنا المنهج الذي اتبعه الرسول القائد ﷺ في تربية أصحابه ، فالقائد هنا يعرف أصحابه جيدا ، ويعرف نقاط القوة عند كل واحد منهم ، فعندما قال قولته تلك : « أبعث معكم القوي الأمين » ، اشرأبت أعناق الصحابة ، يتمنى كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك الوصف ، وكان أبو عبيدة بن الجراح هو المطلوب.

مثل هذه العلامة الفارقة والصفة المميزة، أطلقها رسول الله على الكثيرين من أصحابه: فهذا الصدّيق ، وذاك الفاروق ، وذاك أمين هذه الأمة ، وهذا سيف الله المسلول ، وهذا غلام مُعَلَّم وهكذا .

وهذا الوصف الذي أطلقه رسول الله ﷺ ، تعمقت صفته في نفوس هؤلاء فأصبحوا أعلاما عظماء تباينت أشكال عظمتهم ، بتباين الأوصاف التي أطلقها عليهم القائد المربي.

وهذا أسلوب فريد في التربية ، فما أن يلمح المربي صفة بارزة عند أحد إخوانه حتى يعلنها على رؤوس الأشهاد ، ويعمقها وينميها عنده .

وكم من الكلمات صنعت أبطالا، وصارت مثلا ، وغيَّرت مجرى التاريخ .

هكذا تكون التربية الناجحة ، وكذلك فليفعل المربّون

obeikandl.com